خطبة بعنوان: الغاية الحميدة

يوم الجمعة: ١٤٤١/٠٦/٢٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيزبن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيأيها المسلمون ... إن الأيام معدودة، والأنفاس محدودة، والعمر قصير﴿...وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠] ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ*قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٣]﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...﴾ [الروم:٥٥] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦] ﴿...كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ...﴾ [الأحقاف:٣٥] روى البخاري أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ النبي ﷺ بمَنكِبِي ثم قال:((كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ))، وكان ابنُ عُمَرَيقولُ : "إذا أصبَحْتَ فلا تنتظِرِ المساءَ وإذا أمسَيْتَ فلا تنتظِرِ الصَّباحَ وخُذْ مِن صحَّتِكَ لِمرضِكَ ومِن حياتِكَ لِموتِكَ"، وروى أحمد والترمذي أن النبي ﷺ قال :((ما لي وللدُّنيا ، إنما مثلي ومثل الدنيا كراكبٍ نام تحت ظِلِّ شجرةٍ في يومٍ صائفٍ ثم تركها وراحَ)).

أيها المسلمون ... إن الغاية الحميدة، والعاقبة السعيدة، والنهاية الجميلة أن يوافي العبد ربه على الإيمان، ويلاقيه على الإسلام، وهذا أعظم المطالب، وأكبر المراتب، وبذلك أمر الله نبيه ﷺ فقال له: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] يعني الموت، وبذلك أمر الله المؤمنين فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وهذه هي وصية الأنبياء والمرسلين ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٢]، وهي دعاء الصالحين من عباد الله ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣]، ولما امتُحن أتباع موسى عليه السلام دعَوا ربهم فقالوا: ﴿...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا

مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦] يوسف عليه السلام تم ملكه، وجُمع له أمره، لكن تاقت نفسه إلى هذه العاقبة السعيدة، والنهاية الحميدة فقال لربه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، والنبي ﷺ أفضل الخلق، وسيد البشر جمع الله له أمره، وأظهر دينه، وأعلى شريعته، لكن تاقت نفسه إلى هذه العاقبة الحميدة، والنهاية السعيدة. روى البخاري أن النبي ﷺ جَلَسَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: ((إنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا ما شاءَ، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَهُ)). فَبَكَى أبو بَكْرٍ رضي الله عنه وقالَ: "نفديك بآبائِنا وأُمَّهاتِنا يا رسول الله، فَعَجِبْنا له"، يقول الراوي: وقالَ النَّاسُ: "انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ الكبير، يُخْبِرُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الحياة الدُّنْيا، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاختار ما عنده، ثم علمنا أن المُخَيَّرَ هو رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكانَ أبو بَكْرٍ هو أعْلَمَنا به"، وجاء في رواية عند البخاري أن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" ما قُبِضَ نَبِيٌّ إلا خُيِّرَ بيْنَ الدُّنْيا والآخِرَةِ، فلما كان مرضه ﷺ قال، وقد أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ: ﴿... مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ...﴾ ﴿... مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ...﴾ [النساء:٦٩]، وفي روايةٍ أنه غُشِيَ عليه ثُمَّ أفَاقَ، فأشْخَصَ بَصَرَهُ، وقالَ: :((اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى)) .

أيها المسلمون ... إن من أعظم نعم الله على العبد، وأكبر مننه عليه أن يوفقه للعمل الصالح، ويثبته عليه حتى يلقى ربه على هذه النهاية السعيدة، والعاقبة الحميدة. روى أحمد والترمذي أن النبي ﷺ قال:((إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا استعملَهُ. قالوا: وكيفَ يستعملُه يا رسولَ اللهِ ؟ قال يُوَفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ ثم يقبضه عليه)).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله مني ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اعلموا رحمكم الله أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.